

7

سلسلة روايات الشباب

الخضراء



الخضراء

عبد الأمير عبد الله



المركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
طرابلس - ليبيا

الطبعة الأولى
1988 م.

حقوق الطبع محفوظة
للمركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
هاتف: 40705 - 45565 - مبرق: 20032 - 20668
ص.ب: 80984 - طرابلس - الجماهيرية

تحول زواج خالد من وضحا إلى
حكاية على كل لسان في الخضراء،
وضحا التي أصيبت بمس من الجنون
أفقدتها رشدها وخالد الذي أصيب
برصاصة أدت إلى شلله تقول الحكاية:

أول ما تذكرته وضحا بعدما عاد إليها
رشدها أولئك الذين ذبحوا أخاها أمام
ناظريها، تذكرت صورة مرتكب الجريمة
الذي يعرفه جميع أبناء الخضراء، لكنها

لم تستطع تذكر اسمه، عدّد لها والدها أسماء من يشتهه بأنهم نفذوا الجريمة. لكن جوابها كان النفى... نامت وضحا في ساعة متأخرة على غير عاداتها، وما أن أغمضت عينيها واستسلمت للنوم حتى بدأت تصرخ: أتركه يا سافل إنه طفل، لماذا تقتله يا سافل؟ أقتلني ودع أخى حياً...

عرف والد وضحا من الذى قتل ابنه الوحيد... أفاقت وضحا مرعوبة باكية وقالت: عرفته يا أبى، إنه السافل والسافل لقب أطلقه أهالى الخضراء على رجل عُرف بانحطاطه الأخلاقى، قال والد وضحا وهو يحدث نفسه: خالد مظلوم ووالده وابنى وغيرهم جميعهم قتلوا نتيجة الفتنة التى زرعها بيننا أبو الذهب، رحمك الله يا محمود لقد قلت لى ذلك لكننى لم

أصدّق... مشى والد وضحا ناحية النافذة
التي تطلُّ إلى بيت خالد فتحها فرأى خالدًا
واقفًا في النافذة المقابلة، فتابع حديثه
بقوله: أنت برىء يا خالد من دم ابنى وأنا
برىء من دم أبيك، قال هذا الكلام لنفسه
ثم أخذ مسدسه ووضعهُ في وسطه
وخرج... قاصدًا بيت السافل.

* طق... طق... طق... ضرب
حميد الباب بعصبية.

* من في الباب؟ سأل السافل.

لم يجب حميد بكلمة بل ضرب الباب
برجله ففتح على مصراعيه، وعاجل
السافل بطلقات عدّة أصابته في أماكن من
جسده، حدث ذلك أمام زوجة السافل
التي بدأت بالصراخ... لم يعر حميد أى
انتباه لصراخ زوجة السافل، وكل ما قاله

لرجل حاول اعتراضه : لماذا فعلت هذا يا حميد، لماذا قتلت السافل؟ فأجابه حميد: ثارت لدم طفلى الوحيد...

سار حميد باتجاه بيت خالد، طرق الباب، وكانت المفاجأة: خالد نفسه فتح الباب، خالد المشلول الذي لم يكن يستطيع الوقوف. فرك حميد عينيه وقال محدثاً نفسه: يا إلهي ماذا يحدث؟ هل أنا فى الحلم أم فى اليقظة؟ خالد ووضحا شفيا فى يوم واحد، إنها إرادة الحياة، الحب أقوى من الموت. صمت لحظة حتى عاد إليه رشده وقال لخالد: الحمد لله على سلامتك يا خالد: أجاب خالد: والشكر لله على سلامة ابنتك وضحا يا عمى حميد...

كان أخوة خالد يقفون صامتين حيال ما

يجرى أمام أعينهم، لكن حميد قطع الصمت عندما أمسك بمسدسه وناوله لخالد قائلاً: أقسم بالله العظيم وشرفي أنني برىء من دم أبيك. كما أنت برىء من دم ابني وإن كنت لا تصدق كلامي فهذا مسدسي: خذ بثأرك مني.. عرفت قاتل ابني الوحيد وأخذت بثأري. إنه السافل يا خالد، هو القاتل وأنت الذي دفعت ضريبة الدم...

كان المنظر مؤثراً بالنسبة لخالد وأخوته فقالوا بصوت واحد: أنت برىء سامحك الله منذ وصلت بيتنا ثم أننا كنا نعرف أن هناك من يريد الإيقاع بيننا... قال حميد: من الغد سنكون أنسباء وتعود الأمور كما كانت عليه في السابق.

في ظل حكم الشعب لنفسه تحولت

الخضراء إلى واحدة من العشق، عشق
الناس لأرضهم، وأشرقت شمس كل
صباح على حكاية حب جديدة، استمر
عرس خالد ووضحا شهراً كاملاً، عادت
خلاله روابط الصداقة بين الشباب والصبايا.
تلك الروابط التي قطعتها سياسة أبي
الذهب ومرشد. وتحولت لغة الشباب إلى
قاموس من العبارات الغزلية... بعض
شباب الخضراء خافوا هذه الظاهرة.
وقالوا: ليس بالحب وحده تحيا الشعوب،
والحب والصداقة لا يستمران إن لم يقوما
فوق أرض صلبة... وهي تعميق تجربة
حكم الشعب في الميادين كافة عن طريق
المؤتمرات الشعبية واللجان الشعبية
والسيطرة من قبل الشعب على كافة
الإدارات التي ورثناها من دولة أبي
الذهب، حيث ما زال الفساد والسوس

ينخر في جسم تلك المؤسسات...
خاصة وإن أبو الذهب ومرشد لم يستسلما
وقد يكون خلافهما مفتعل للانقضاء من
جديد على المكاسب التي حققها
الشعب... هذا ما كان من أمر أهالي
الخضراء. فماذا كان من أمر أبو الذهب
ومرشد.



في لحظات حاسمة من تاريخ
الخضراء، ظهر مرشد مكرهاً في الإذاعة
المرئية وأعلن استقالته في بيان هذا نصه:

يا أبناء الخضراء. إنني متضامن مع
ثورتكم الشعبية، فأنا واحد منكم ومن أبناء
الفقراء في الخضراء، كان والدي عاملاً
في مصنع الأحذية الذي يملكه أبو
الذهب، وأنا عملت في المصنع نفسه

أيضاً، وكانت أُمى خادمة فى بيت مرتزق... مات والدى لأنه لم يكن يملك ثمن الدواء. وظلّت أُمى تعمل فى خدمة أبى الذهب حتى أدركها الموت... كنت معكم فى معركة - شركاء لا أجراء - وفى معركة البيت لساكنه، وعندما رأى أبو الذهب إخلاصى فى العمل اختارنى لأكون مديراً لأعماله... لم أكن طبقة الفقراء، والكادحين لحظة واحدة فى حياتى وبإمكانكم التأكد من ذلك. فأنا من ساعد خليل وأعطاه المال للوصول إلى مقعد النيابة، لم أكن خائناً لطبقتى الفقيرة. لكن أبا الذهب غرّربى، وعلى هذا الأساس فإننى أتقدم باستقالتي من رئاسة مجلس النواب ناذراً نفسى للعمل فى صفوف الفقراء والكادحين... كما أننى أريد أن أؤكد لكم بأننى لست

مسؤولاً عن كل الجرائم التي حصلت في
الخضرءاء، وسأكشف لكم المسؤولين
عنها لاحقاً؛ عشتم وعاشت الخضرءاء.

بعد ساعة من إعلان مرشد لاستقالته
ظهر أبو الذهب في الإذاعة المرئية وأذاع
البيان التالي: يا أبناء الخضرءاء... تحيتي
لكم، كم من مرة اعترفت بأخطائي
أمامكم، وكم من مرة قبلت منكم
الإهانات. قلتم شركاء لا أجراء وقبلت
بشعاركم هذا وقلتم البيت لساكنه:
فرضيت بهذا القول. ثم قلتم الأرض لمن
يزرعها فلم أمانع وأعطيتمكم الأرض،
ولكى أكفر عن أخطائي السابقة أغدقت
المال على الكثيرين منكم وخاصة الفقراء
الذين يتحدث باسمهم مرشد. هذا الناصر
للجميل والذي لا يحفظ حق نعمتي عليه.
لقد فعل ما أراه. إنه المسؤول عن تزوير

الانتخابات، والدليل على ذلك اعترافه بأنه ساعد الفقراء والكادحين... ومن يدعون بأنهم أبناء الطبقة العاملة. لذلك فإننى أعلن حل المجلس النيابى لأنه جاء نتيجة انتخابات مزورة كما أتقدم باستقالتي إلى شعب الخضراء.

بعد ساعة من بيان أبى الذهب كان أحد أبناء الخضراء ممن اختيروا للإعلام يذيع على شاشة الإذاعة المرئية البيان التالى:

يا أبناء الخضراء... يا شعب الخضراء... يا من تحكمون أنفسكم بأنفسكم، ليس صحيحاً ما قاله مرشد ولا ما قاله أبو الذهب، مرشد وأبو الذهب يريدان الالتفاف على ثورتكم الشعبية، إنهما يتوزعان الأدوار، ويتعارضان ليلتقيا

وليكون كل منهما فى موقع ما من السلطة .
حتى وإن كانا حقاً مختلفين إنهما يريدان
النفاذ إلى السلطة، يريدان إلغاء سلطة
الشعب، لا تصدقوا مزاعم أعداء
الشعب، حتى ولو أضاءوا أصابعهم
مصاييحاً فى سبيلكم . . . كونوا على حذر
مما يحاك ضدكم من مؤامرات، حافظوا
على وحدتكم الشعبية ولا تنزلقوا فى
الخلافات التى لا تعود عليكم وعلى
إنجازاتكم إلا بالخراب . . . لا تصدقوا
مزاعم أعداء الشعب .

عشتم وعاش حكم الشعب فى
الخضراء . .



كان للسافل أقرباء ممن ثاروا على دولة
أبى الذهب ومرشد، لكن الطريقة التى

قتل بها السافل أثارت غضبهم وراوا أن
تصرف حميد إنفعالي ولا يقوم على أى
قدر من العدالة وأنه كان من واجب حميد
أن يطرح قضية السافل أمام محكمة شعبية
ليكون الحكم صادراً من الشعب وليس من
قبل الفرد، ثم إن البعض منهم شكك فى
صحة شهادة وضحا بنت حميد وقال:
وضحا فتاة ناقصة عقل وهل تكفى شهادة
فتاة مجنونة لتنفيذ حكم الإعدام برجل قد
يكون بريئاً.

أحس أبو الذهب أن هذه القضية نزلت
عليه من السماء، فصبّ الزيت فوق النار،
وفى اليوم التالى لمقتل السافل تلقى أقاربه
اتصالاً من مجهول قال: إن قريبكم كان
ضحية المصالحة بين عائلة محمود وحميد
وإن المجرم الحقيقى رجل متخفى لا يعرفه

غير السافل، وقد قتل السافل ليدفن السر معه.

كان أقرباء السافل قد نبذوه عندما كان حياً بسبب أخلاقه السيئة، لكن تصرف حميد ودخوله حيّهم ليقتل السافل أمام زوجته وأطفاله أثار فيهم الحميّة والامتناعض وبقيت النار تحت الرماد... .
في اليوم التالي لدفن السافل حضر أبو الذهب ليقدم التعازي لأولاده وأقاربه. قال أبو الذهب بعدما قدّم لكلامه عن الشهامة العربية وكري الضيف ونصرة المظلوم وحماية الجار:

«حرب البسوس قامت بين أبناء القبيلة الواحدة من أجل ناقة، وهناك حروب قامت من أجل أمور بسيطة وفقيدكم (لم يقل السافل) مهما تكن الظروف والأمر

هو إنسان وكان يجب عليكم أنتم أقاربه أن لا تفقوا هذا الموقف من اللامبالاة. لأن ما حصل يمثل خطراً على العادات والتقاليد والقيم التي ورثناها عن آبائنا وأجدادنا، تلك القيم التي نشأنا عليها. . . والعملية التي تمّ فيها اغتيال الرجل ليست موجهة ضد شخص بعينه، بل هي موجهة ضد الجماعة وقيمها. وأضاف أبو الذهب بعدما وجد من يصغى لكلامه: قلتكم أنكم تريدون حكم الشعب وليس حكم الشخص الواحد، رفضتم الانتخابات وقلتكم «الانتخابات تدجيل» فهل صدر قرار لإعدام السافل من الشعب، أم من فرد أقدم على قتل إنسان ظلماً، ما هي الدلائل التي تثبت أن السافل هو الذي قتل ابن حميد. . .».

بعد أيام تلقى حميد اتصالاً هاتفياً من

مجهول قال فيه: إن أقارب السافل
عازمون على الأخذ بالثأر وعليك أن تكون
على حذر يا حميد، سأل حميد من
المتكلم فلم يلقَ جواباً... قطع الخط.

وبعد الهاتف المجهول كان حميد يمر
في ساحة الخضراء والتقى صدفة بشريف
أحد أقارب السافل فبادره حميد بالتحية،
لكن شريفاً أشاح بوجهه عن حميد وأسرع
الخطى بعدما تمت بكلمات وبصق على
الأرض. طار صواب حميد من حركة
شريف فركض باتجاهه حتى حاذاه وقال
له:

* لِمَ لم ترد التحية بمثلها، أم أنك
غاضب بسبب موت وبياء عائلتكم
السافل، كان عليكم أن تدفعوا لى ثمن
الرصاصات التى أطلقتها على السافل،
لأننى بذلك غسلت عاركم قبل أن آخذ

بثأرى... أجاب شريف بلهجة لا
تخلو من السخرية:

* بل غسلت عارك يا حميد، بأن قتلت
السافل ظلماً وزوجت السافلة
لخالد... كانت هذه العبارة كافية لأن
تفقد حميد صوابه فوجه صفعة قوية إلى
شريف ردّها الأخير بمثلها. واشتبك
الرجلان بالأيدي على مرأى من الناس
فى ساحة الخضراء... تدخل بعض
الرجال وفكّوا الاشتباك بين الرجلين
اللذان ذهبا كلّ فى طريقه متوعداً
الآخر... كان حميد يرد بصوت عالٍ:

لست نادماً على قتل السافل
ولو عاد حياً لقتلته مرة ثانية، وثالثة
ورابعة

أقتله لأقتل كل الرذائل

مرّة أقتل الخسّة، ومرّة أقتل اللّوم
مرّة أقتل الغدر ومرّة أقتل العمالة
سأقتل كل من يمّت بصلة لصفات
السافل.

لكن العبارة الأخيرة وصلت إلى أقارب
السافل وأبنائه ناقصة: لقد قال ناقلها:
أقسم حميد على قطع دابر كل من يمّت
بصلة للسافل، بل قال سأقتل كل من يمّت
بصلة للسافل.

أما آخر عبارة سمعها حميد من شريف
فقد كانت:

أنتم أساس كل فتنة في الخضراء، أما
العبارة فكانت: أنت يا حميد أساس الفتنة
إن حصل شيء في الخضراء.

عاد الهاتف المجهول لزراع الفتنة في
الخضراء:

* كن على حذر يا حميد. خلّ يدك على الزناد. هناك من يريد اغتيالك. . . وفي اليوم التالي نفسه سمع شريف من الهاتف المجهول العبارة نفسها:

* كن على حذر يا شريف. خلّ يدك على الزناد. هناك من يريد اغتيالك. . .



قام مرشد بزيارة سرّية لحميد في ساعة متأخرة من الليل كي لا يراه أحد، وقد جاء متنكراً بزي أحد الدراويش، طرق باب حميد، وعندما فتح الباب أزاح مرشد القناع عن وجهه ونزع لحيته المستعارة وبادر حميد بالقول:

جئت متنكراً كي لا يرانى أحد، وسبب زيارتي هام جداً، لكننى قبل أى حديث

أريد أن تعطيني كلمة شرف بأن لا يعرف أحد بزيارتي هذه وحتى أقرب المقربين إليك وخصوصاً صهرك خالد. أجاب حميد: أقسم بشرفي في أن لا أبوح بسر هذه الزيارة لأى كان. قال ذلك وأغلق الباب... أطرق مرشد لحظة وقال: علمت من رفاقي الذين يعملون مع صهرك خالد في المصنع بأن راصد بن شريف هدد خالداً وأسمعه كلاماً نابياً وقال له: دم قريبنا لن يذهب سدى. والإهانة التي وجهها عمك حميد لأبى سيدفع ثمنها غالياً. أخبر عمك بذلك وقل له أن لا ينام على حرير ويظن أننا تناسينا ما حصل بفعل مرور الزمن، وتابع مرشد حديثه قائلاً لحميد: لا بد أن صهرك خالد قد أخبرك بهذا الكلام أجاب حميدٌ بدهشة: لم يقل لى خالد شيئاً من هذا...

ضحك مرشد بخبث وأضاف: على أي حال هذا بعض ما قيل. وإن كنت لا تصدقني فهذا دليلي على ذلك، ثم مديده إلى جيبه ودفع بشریط كاسيت مسجل إلى حميد وقال له: اسمع هذا الشریط، اسمعه فيما بعد، ففيه من الكلام الجميل الذي أخجل من قوله، والشریط ليس مهماً الأهم هو ما سأقوله لك حافظ على أعصابك يا حميد... ثم سكت لفترة جعلت حميداً يقطع أنفاسه ويقول بصوت منخفض إنما بعصبية مكتومة: تابع حديثك يا مرشد... قال حميد بصوت لا يكاد يُسمع مما اضطر حميد تقرب أذنه من فم مرشد:

أبو الذهب يقوم بتحريض شريف وأقاربه ضدك، البارحة قدّم لراصد بن شريف سلاحاً وذخيرة واختلى به ساعة

كاملة. وقد تردد اسمك مراراً خلال هذا الاجتماع هذا ما أخبرني به أحد رفاقي... لم ترق كلمة «رفاقي» لحמיד فهو لم يسمع هذه الكلمة من قبل، فانتفض متسائلاً: من هم رفاقك يا مرشد؟

أجاب مرشد بحزم: كل الذين يملكون القناعات نفسها هم رفاق... وأضاف: أنا مع قناعاتك بموقفك من السافل وابن عمه شريف. أنا مع قناعاتك بضرورة قتل هذا الفاسد الشرير المجرم. وأنا مع قناعاتك بضرورة التكاتف في وجه العادات القبلية الفاسدة. أنا مع قناعاتك عندما ذهبت إلى بيت محمود وطلبت الصلح من أبنائه بعدما عرفت عدوك قاتل ابنك الوحيد... عندما نمتلك نفس القناعات ونعمل في سبيل تحقيقها نكون رفاقاً. أطرق مرشد لحظة وكأنه نسي شيئاً

كان يريد قوله وتابع حديثه : يا رفيق حميد
علينا أن نقف صفاً واحداً في وجه
أعدائنا. سأل حميد: ومن هم الأعداء
الذين تتحدث عنهم يا أخ مرشد. امتعض
مرشد من كلمة أخ . وقال لحميد: أرجوك
أن تخاطبني بعبارة يا رفيق. . .

* وما الفرق بين الأخ والرفيق يا مرشد.

* هناك فرق كبير، ستعرفه فيما بعد. . .
لكن الأعداء الذين تسأل عنهم ليسوا
من رفاقنا. أهدافهم تختلف عن
أهدافنا، أراؤهم تختلف عن آرائنا
وأفكارنا.



لم يستطع حميد أن يغمض جفنيه بعد
سماع الكلام المسجل على الشريط وما
دار من حوار بين صهره خالد وراصد بن

شريف خلال المؤتمر الشعبى المهنى
الذى اختير خالد لأمانته . . . قبل أن تعم
الفوضى نتيجة الحوار العاصف الذى دار
بينه وبين راصد وهذا نص الحوار:

راصد: أنا ضد تصعيد خالد لأمانة
المؤتمر حتى ولو كان ذلك بالإجماع، فهو
لا يتمتع بالصفات الأخلاقية، وأنا وأقاربى
على خلاف معه وهو لا يمثلنا، لم ننس دم
قربينا (لم يقل السافل) الذى سفك ظمأً.

خالد: إذا كان تصعيدى إلى أمانة
المؤتمر سيؤدى إلى الانقسام فلننى
أرفض تحمل مسؤولية أمانة المؤتمر وأنا
أختار راصد ليكون أميناً للمؤتمر.

(أصوات) نرفض راصد ونصر على
اختيارك.

(أصوات) ونحن نرفض خالد إذا كانت

القضية مسألة قرابة. نصر على راصد.

راصد: لم ننس ما قاله عمك حميد
لوالدي يا خالد، تريدون اقتلاعنا من
أرض الخضراء. لسناطحالب. إن جذورنا
عميقة ولن يستطيع أحد اقتلاعنا. . . أخبر
عمك بذلك ثم أنك وعمك حميد
تتحدثان عن حكم الشعب. فبأي حكم تم
مقتل السافل، هل أحاله عمك إلى
محكمة شعبية. . . كان المجرم في دولة
أبي الذهب يحال إلى محكمة علنية، ولا
تصدر الأحكام إلا بعد توفر الأدلة، أما في
حكومة عمك فقد أصبحت الأحكام
فوضوية تكفي فيها شهادة امرأة مجنونة.
أعني زوجتك وضحا، لقتل إنسان برىء.

خالد: لم يفكر أحد باقتلاعكم يا
راصد، قال حميد بأنه سيقطع كل

الصفات الدنيئة الموجودة في شخص
السافل. ثم إنكم أنتم أقاربه نبذتموه.
وكنتم تخجلون من التقرب منه، وقد قلتم
مراراً إن دمه مهدور بالنسبة إليكم لأنه
يسىء إلى سمعتكم جميعاً، يجب علينا
أن ننسى خلافاتنا القديمة لنبنى مستقبلاً
أفضل، ما زال عدونا أبو الذهب يتربص
بنا الدوائر، إنه ينتظر لينقض علينا من
خلال خلافاتنا، نحن أخوة يا راصد.
السافل هو القاتل وقد نال جزاءه، مرشد
نفسه قدّم وثائقاً تثبت أن السافل هو
القاتل.

راصد: وأبو الذهب قال إن السافل
بريء والقاتل هو أحد أقاربك، ثم إن
حميداً دخل حيناً من دون استئذاننا وقتل
السافل أمام زوجته وأطفاله، ونسمعه يقول
بأنه قتل الوباء وخلصنا من السافل، ومن

أراد أن يصلح الآخرين فعليه أن يبدأ
بإصلاح نفسه وكان على عمك حميد أن
يبدأ بوبائه وعاره في بيته أعنى زوجتك
الساف. . . ومن كان بيته من زجاج فلا
يرمى بيوت الآخرين بالحجارة.

خالد: إحترم نفسك يا راصد. إحترم
الحضور. اجتماعنا ليس لغايات فردية ولا
لنبش خلافات الماضي لقد قتل والدى
وآثرت نسيان هذه القضية حتى لا نقع في
مستنقع الخلافات القديمة التي لم نحصد
منها سوى الخراب والدم والدمار.

راسد: كنت تعرف من قتل أباك يا
خالد. لكنك بعث دم أبيك برغباتك بعته
بوضحا وحميد باعك وضحا ليغسل عاره،
ورقصتم فوق دم السافل. . .

خالد: أنت لا تعرف العيب، إلزم

حدّك، هذا الكلام يسىء إليك أكثر مما
يسىء إلىّ انظر إلى أخوتنا أنهم يضحكون
من كلامك.

راصد: إنهم يضحكون منك وليس من
كلامى. إنهم يضحكون من مروءتك
المزيفه..

خالد: يضحك الجميع منى حالياً.
لكنهم سييكون عليك فى المستقبل عندما
يعرفون الحقيقة.

راصد: تهددنى يا كلب...

قطع الحوار عند هذا الحد. واختلط
الحابل بالنابل وعلت الأصوات وعمّت
الفوضى وانقسم الحضور... وكان
صوت خالد مميزاً كان يصرخ بأعلى
صوته:

أريد من أخوتى وأصدقائى التزام

الهدوء لا أريد من أحد الدفاع عني...
المشكلة شخصية بيني وبين راصد، لا
تحولوها إلى مشكلة عامة.

قبل شروق الشمس طرق حميد بيت
صهره وكان خالد ما يزال نائماً وقال دون
مقدمات لماذا لم تخبرني يا خالد؟ لماذا
تخفي ما يقال عني؟ كيف قبلت هذا
السيل من الإهانات أمام أصدقائك؟ من
يكون راصد حتى تخافه؟ وإن أنت
كنت تقبل الإهانة لزوجتك فأنا لا أرضى
الإهانة لعرضي... قال لك راصد أخبر
عمك وكان عليك أن تخبرني.

سأل خالد: ومن أخبرك بكل هذا...
أجاب حميد: أخبرتنى العفاريث وأقسمت
بشرفي أن لا أبوح بالسر... ثم قذف
بشريط الكاسيت الذي يحمل وقائع الحوار

وقال لخالد: عد إلى سماع الإهانات التي
وجهت إليك. فلعلك كنت أطرشاً عندما
قيلت لك... أجاب خالد: كنت أخاف
أن ينقسم الناس بين مؤيد لى ومؤيد
لراصد، تحملت الكثير من الإهانات
الشخصية فى سبيل وحدة الناس، لكن
للأسف فقد كانت الخريزة أقوى من العقل
وحصل الانقسام... البعض وقفوا فى
صفى والبعض وقفوا فى صف راصد...

سرى الخلاف فى الخضراء كالوباء
وعلى أساسه بدأت تطفو المشاكل
القديمة... هذا مع شريف، وذاك مع
حميد، وحتى البيت الواحد انقسم ساكنوه
بين مؤيد لهذا ومؤيد لذاك...



فى ذلك المساء كان عبد الله بن شريف

على غير عادته عندما التقى سماح بنت حميد، فقد بدا مرتبكاً حائراً ولم يبادرها بخبر مضحك كعادته. حاول إخفاء حزنه بافتعال الفرح لكنه لم يفلح سألتة سماح: ما بالك يا عبد الله، أنت على غير ما يرام. إننى أعرفك جيداً... تكلم ولا تخف عني شيئاً أجاب عبد الله: الأمور تسير عكس ما نشتهى يا سماح. أنا خائف من مستقبلنا، إن عاصفة ستعصف بالخضراء، أريد أن أقول لك سرّاً أرجو أن يبقى إلى الأبد. قد لا أراك بعد اليوم أقسمى بحبنا أنك لن تبوحى بهذا السر مهما حصل... قالت سماح: أقسم بالله وبحبنا النقى أن لا أبوح بهذا السر... تنهد عبد الله وقال: البارحة زارنا أبو الذهب مع زبانيته واجتمع بوالدى وأخوتى الكبار قاصد وجاسر وباسل كما استدعى والدى بعض الرجال



من عشيرتنا وأقاربنا وكان والدك محور الحديث... حاولت التدخل لكن الجميع وقفوا ضدي وقالوا لي: إنك لم تزل طفلاً. أخرج من هنا والعب مع الأولاد... لأنك أصغر من هذه الأمور المهمة... سألت بدهشة: وما هي هذه الأمور المهمة تكلم يا عبد الله!... أطرق عبد الله لحظة وأجاب: قد يكون لقاءنا هذا لقاءً أخيراً، اخبري والدك بطريقة ما بأن يكون على حذر. أنهم يريدون قتله إنهم سيقتلون حبنا يا سماح... أحبك ولا أريد أن أخسرك إلى الأبد...

لم تستطع سماح تمالك نفسها وأجهشت بالبكاء، بينما بقي عبد الله صامتاً، حاول تهدئتها فأمسك بمنذيله ليمسح دموعها، لكنها دفعته بقوة وقالت له: لا تمدّ يدك إليّ يا ابن المجرم، قالت هذه

العبارة بعصية وبصوت عالٍ : تسمر عبد الله
 فى مكانه وقال بصوت يشبه الحشرة : يا
 إلهى . . . هذا والدك يا سماح . . . ثم
 أطلق ساقيه للريح هارياً . . . نظر حميد
 إلى بنته سماح وقال لها: لو لم أرمأ فعلت
 بعينى وأسمع ما قلت بأذننى لقتلتك
 الآن . . . أعرف أن السفلة يريدون النيل
 منى بشتى الوسائل حتى ولو كان ذلك
 بالتغريب فتاة بريئة مثلك يا سماح . . . لن
 يفلت من يدى شريف وأبنائه . . . لماذا
 كنت تبكين يا سماح، هل حاول الاعتداء
 عليك ابن الأندال . . . ؟ قالت سماح:
 عبد الله شاب شريف يا أبى، ولم تبدر عنه أى
 إساءة، ثم روت له ما دار بينها وبين عبد الله من
 حديث . . . يريدون قتلك يا أبى وأجهشت
 بالبكاء من جديد . . .



إهدأ يا عمى حميد، لا تصدق مزاعم
مرشد، إنه يريد الإيقاع بيننا ليحقق
مآربه . . مرشد كاذب يا عمى، متى أصبح
مرشد رفيقاً لك، هل تصدقه عندما يناديك
يا رفيق . . . كان خالد يردد هذه العبارات
وحميد مطرق في صمت عميق ينظر إلى
الأرض لكنه سرعان ما انتفض كالبعير
الهائج وصرخ بأعلى صوته: سماح . . .
تعالى بسرعة واحكى لصهرك ما قاله لك
عبد الله بن شريف . . . روت سماح على
مسامع أمها وأخواتها وصهرها خالد القصة
من جديد . . . وعادت لتجهش في
البكاء . . . قال خالد يخاطب نفسه: كان
الذي خفت أن يكون . . . معك حق يا
عمى حميد . . .

كان الجو عاصفاً في تلك الليلة من
شهر «فبراير» عندما سمع حميد حركة

تحت نافذته قال لزوجته إننى أسمع حركة
غير عادية، أنصتت زوجته وقالت: إنه الهر
يحاول الهرب من المطر أقفلنا باب الدار
وبقى خارجه، عادت الحركة تعبث
بالنافذة بشكل يثير الشك تناول حميد
مسدسه من تحت الوسادة ومشى بخطوات
حذرة باتجاه النافذة، ووقف منصتاً إلى ما
يدور فى الخارج، بعدما أشار إلى زوجته
بالتزام الصمت وعدم الحركة... سمع
وقع خطى وبسرعة فتح النافذة على
مصراعيها، أطلقت باتجاهه رصاصة
أخطأته واستقرت على بعد بضعة
ستمترات من رأسه فى خشب النافذة،
سدّد حميد نحو النار... رصاصة اثنتان،
ثلاث رصاصات... أخ قتلتنى يا
حميد... إنه صوت راصد بن شريف
أشعلت زوجة حميد النور، أطل حميد من
النافذة، أطلقت النار باتجاهه فأصيب

برصاصة فى رأسه قتلتة على الفور، حدث ذلك خلال ثوانٍ معدودات أصيب قاصد فى ظهره لجهة القلب، وعندما عاين الطبيب الجثة وجد أنها مصابة برصاص غير الرصاص الموجود فى مسدس حميد... حميد أصيب فى رأسه لجهة اليسار إلى الجهة المعاكسة للمكان الذى كان متردياً فيه راصد... وفى الرصاص نفسه الذى أصاب قاصد، القاتل واحد، والقتيلان بريثان... هذا ما قاله الطبيب الشرعى، لكن من يسمع صوت العقل فى وقت تثار فيه الغرائز...

تمّ دفن حميد فى مأتم مهيب يتقدمه مرشد بعدما نعاه أهله (ورفاقه العمال) كما تمّ دفن راصد فى مأتم تقدمه أبو الذهب ونعته عشيرته ورفاقه (الأحرار). كانت وضحا وأختها سماح تسيران خلف نعش

والدهما وكأنهما جثتان جاهزتان للدفن
وكان عبد الله يسير خلف نعش أخيه وكأنه قبر
يبحث عن ميت يرقد فيه... وكانت
الخضراء تبدو مقبرة كل من فيها من البشر
يبحثون عن أماكن لهم بين القبور...

قال أبو الذهب خلال تأبين راصد، هذا
شهيد (الأحرار).

وقال مرشد خلال تأبين حميد، هذا
شهيد العمال... وانقسم الناس في
الخضراء إلى حزبين حزب الأحرار وحزب
العمال... ولم يكن الداعون إلى حزب
الأحرار أحراراً، كان معظمهم عبيد
السلطة والمال. ولم يكن الداعون إلى
حزب العمال عمالاً بل كانوا من
الانتهازيين الوصوليين... ولم تمض فترة
حتى صدرت صحيفة الأحرار ورئيس

تحريرها «أبو الذهب» وصحيفة العمال
ورئيس تحريرها مرشد... وفتح باب
الصراع الحزبي على مصراعيه...



عانت الخضراء فى ظل الصراع
الحزبى ما لم تعاني منه فى تاريخها
الطويل، وعادت معزوفة الانتخابات وكان
الحزب الفائز يمارس أقصى درجات
الديكتاتورية على المعارضة وقد استطاع
كل من أبى الذهب ومرشد من موقعيهما
المتناقضين بالشكل فرض مبادئهم
وأهدافهم على الشعب باسم البرامج
الحزبية، لكنهما كانا دائماً فى موقع
السلطة، ويتناويان عليها... كانت نسبة
كبيرة من أهالى الخضراء لا علاقة لها
بحزبى الأحرار والعمال، وقد استطاع رؤسا

الحزبين تقسيم الناس تارة تبعاً للثقافة وتارة أخرى تبعاً للجهة... وقد كانت الصدمات الحزبية تبلغ حداً من السفاهة لا مثيل له، حتى أن الصدمات بلغت من القسوة ما لم تبلغه الصدمات القبلية التي عرفها أهالي الخضراء في تاريخهم القديم...

وبدأت أشكال الصراع تصل إلى المؤسسات الانتخابية حزب العمال الذي كان على رأسه مرشد رسم خطاً لتدمير إنتاج حزب الأحرار، إذ أن إنجازات حزب الأحرار كانت في المجال الزراعي، وعندما وصل حزب الأحرار إلى السلطة عمد إلى تدمير الإنجازات الصناعية التي حققها حزب العمال، وهكذا تناوب الحزبان على الهدم والضحية هو الشعب... غابت الرقابة الشعبية في ظل

النظام الحزبى، فالمجالس النيابية التى انتخبت من أعضاء الحزب الفائز، والسلطة التنفيذية الوزراء والماء والمحاكم من الحزب نفسه، أى أن الرقابة من الحزب الحاكم، حزب السلطة والسلطة من حزب الرقابة... وقد قال أحد أبناء الخضراء مرة لصديقه: لقد أصبح وضعنا كالمستغيث من الرمضاء بالنار... وأصبح الشعب فى الخضراء الضحية التى ترفع دعوة ضد الجلاد إلى الجلاد نفسه... أعضاء الحزب كأبناء القبيلة بل أن أبناء القبيلة أقل قسوة من المتسبين إلى حزب واحد... أجاب الآخر: الحزب هو قبيلة العصر الحديث. والحزبية هى التعصب الأعمى الذى يفوق أى تعصب آخر... والمبدأ الذى يحتكمون إليه هو أنصر أخاك ظالماً أو

مظلوماً. ولكن قد يكون معروفاً كيف
ينصر الأخ أخاه إن كان مظلوماً ولكن كيف
ينصره إن كان ظالماً؟! وأضاف الرجل:
لكن الأحزاب تنصر الرفاق كيفما كانوا
ظالمين أو مظلومين سيان... حتى أنها
تدفعهم للتمادى فى ظلمهم، وهذا ما
يؤكد أن الحزبية أداة ديكتاتورية، ولكنها
ترتدى ثياباً عصرية، وفى داخلها كل
الديكتاتوريات البدائية والحديثة.



وزعت صحيفة كتبت على الآلة الكاتبة
فى الخضراء حملت عنواناً فى صفحتها
الأولى الحزبية إجهاض للديمقراطية،
والأحزاب لا تمثل الشعب، تحمس حزبا
الأحرار والعمال وطلبوا بمصادرة النشرة
وإلقاء القبض على المشرفين على طبعها
وتوزيعها...

قال أحد الشباب الذين ساهموا بتوزيع النشرة: هذه هي المرة الأولى التي يتفق فيها الحزبان على قضية واحدة... أجابه شاب آخر: إنهما يتفقان ضد مصلحة الشعب، إن ما ندعو إليه هو سلطة الشعب وليس سلطة الحزب... إنهم يخافون انتزاع السلطة من أيديهم.

وفي اليوم الثاني صدرت النشرة بعنوان: من تحزب خان... والحزبيون خونة... إنهم يحكمون كل الذين لا يتسبون إلى أحزابهم من أبناء الشعب.

صدرت صحيفة حزب الأحرار تحمل عنوان: الفوضى تهدد الخضراء ظهور حزب الشعب، وفي اليوم نفسه صدرت صحيفة حزب العمال تحمل عنوان: المشاغبون ينادون بحكم الشعب، وفي

اليوم نفسه أيضاً صدرت صحيفة تحمل
اسم الجماهير بعنوان «الحزب يمثل جزءاً
من الشعب وسيادة الشعب لا تتجزأ».

«الحزب يحكم نيابة عن الشعب
والصحيح لا نيابة عن الشعب».

الشعب مدعو إلى مؤتمرات شعبية
لإعادة السلطة إلى أصحابها.



فى مساء اليوم نفسه كان أبو الذهب
ومرشد يدخلان فى نفس الدقيقة إلى مركز
بث المراثية ضحك أبو الذهب عندما رأى
مرشداً وقال له: إننا نفكر بالطريقة نفسها يا
مرشد جئت لتقدم استقالتك وتعلن حل
حزب العمال أليس كذلك؟ أجاب مرشد
وأنت جئت لتعلن حل حزب الأحرار. . .

أطرق مرشد قليلاً ثم التفت إلى أبي
الذهب وقال له: بماذا تفكر يا أبا الذهب،
يا أبي الروحي، ألا تفكر بشيء
جديد... أجاب أبو الذهب: بالذي تفكر
أنت فيه شخصياً ألفظ الحرفين الأولين وأنا
أكمل لك... قال مرشد الن... صرخ
أبو الذهب قابات... النقابات يا مرشد
إبدأ من الآن نحن متخاصمان إلى الأبد
ولكن خصامنا لمصلحتنا نحن الاثنان...



في المؤتمر الشعبي العام الذي اشترك
فيه جميع أهالي الخضراء ما عدا أقلية
حزبية ظلت مصرّة على تمسكها بأحزابها،
قال أحد الحضور ممن اندسوا بين
الجماهير الشعبية: سنعلن تأسيس حزب
جديد الآن هو حزب الشعب فأجابه أحد
الشباب: الحزبية إجهاض للديمقراطية

وتعدد الأحزاب لا يحل المشكلة بل يزيد
من حدة الصراع على السلطة... وإن
كنت تصر على الانتساب إلى حزب...
فعليك بمرشد أو أبى الذهب... من
تحزب فهو خائن...

وفى المؤتمر التقي عبد الله بسماح، نظر
إليها، اغرورقت عينا سماح بالدموع
وأجهشت بالبكاء، تذكر عبد الله لقاءه الأخير
بها، تقدم نحوها أمسك منديله ومسح
دموعها وقال: حاولت أن لا يحصل ما
حصل، أنا لم أقتل أخاك أجابت سماح
وأنا لم أقتل والدك ولا أخى قتله...

القاتل واحد والضحايا أبرياء... التفت
عبد الله كان المتكلم خالد... لقد
دفعت ضريبة الدم قبلك يا عبد الله... أخوك
وحميد قتلا من زارع الفتنة.

* هل تسامحيني يا سماح قال عبدالله

أجابت سماح: أحبك يا عبدالله ولكن
دعني أفكر بالأمر...

Bibliotheca Alexandrina



0385461



المركز العالمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر

هاتف: 45594 - 45565 - 40705

ميرق: GREEN BOOK 20668 - 20032

ص.ب: 4491 - طرابلس - الجماهيرية

500 درهم ليبي أو ما يعادله